البُعد العقدي في مواقف التطبيع مع الكيان الصهيوني (دراسة في ضوء عقيدة الولاء والبراء)

The Theological Dimension of Normalizat ion with the Zionist Entity: A Study in Light of the Doctrine of Al-Wala' wa Al-Bara'

د. خالد جلال محي الدين

مدرس بجامعة صلاح الدين - أربيل، كلية العلوم الإسلامية

قسم الدراسات الإسلامية

Dr. Khalid Jala Muhiadin

Lecturer at Salahaddin Universty-Erbil, College of Islamic Sciences, Department of Islamic Studies

khalid.muhiadin@su.edu.krd

د. لقمان صمد خضر

مدرس بجامعة صلاح الدين - أربيل، كلية العلوم الإسلامية

قسم الدراسات الإسلامية

Dr. Luqman Samad Khuhdur

Lecturer at Salahaddin Universty-Erbil, College of Islamic Sciences, Department of Islamic Studies

luqman.khudhur@su.edu.krd

Journal of Islamic Sciences
Vol.4 | Issue 41
ISSN: 2225-9732
December 2025
مجلة العلوم الإسلامية
المجلد 4 | العدد 41
www.isscj.edu.iq

الملخص

يتناول هذا البحث دراسة النقد العقدي في مسألة التطبيع مع الكيان الصهيوني، من خلال تسليط الضوء على عقيدة الولاء والبراء في الإسلام، ويوضحها بأشكالها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والدينية. إذ انحرافاً عن هذا الأصل العقدي يؤدي إلى اختلال الولاء والانتماء والتماسك الداخلي للأمة الإسلامية.

ينطلق البحث من التأصيل الشرعي لمفاهيم الولاء والبراء، كما وردت في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية، ويستعرض خطاب الكيان الصهيوني القائم على تفوق عرقي، وما يرتكبه من جرائم بحق الشعب الفلسطيني، مبرزاً أن التطبيع مع هذه الكيانات يُعدّ خيانة للأمة وتجاوزاً للمبادئ العقدية.

وقد استخدم الباحثان المنهجين الاستقرائي والتحليلي لتحليل الطائفة والسيرة الشرعية ذات الصلة، مع تقسيم البحث إلى ثلاثة مباحث: المبحث الأول: تضمَّن التعريف والتأصيل لمفهوم الولاء والبراء في العقيدة الإسلامية. والمبحث الثاني: تطرق إلى مفهوم التطبيع مع الكيان الصهيوني، موضحًا أبرز أشكاله ومظاهره. والمبحث الثالث: خُصص لعرض تحليل عقدي لموقف الإسلام من التطبيع مع الكيان الصهيوني، من خلال استقراء النصوص الشرعية، وبيان خطورة التطبيع من منظور عقيدة الولاء والبراء، وما يترتب عليه من آثار عقدية وفكرية على الأمة الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: العقيدة، الولاء والبراء، التطبيع، الكيان الصهيوني.

Abstract:

This study explores a theological critique concerning the issue of normalization with the Zionist entity by shedding light on the Islamic doctrine of Al-Wala' wa Al-Bara' (loyalty and disavowal). The research examines this doctrine in its political, social, economic, cultural, and religious dimensions, emphasizing that any deviation from this foundational belief undermines loyalty, belonging, and internal cohesion within the Islamic Ummah.

The study begins by establishing the doctrinal foundations of Al-Wala' wa Al-Bara' as derived from the texts of the Noble Qur'an and the Prophetic Sunnah. It then examines the rhetoric of the Zionist entity, which is based on racial supremacy and is responsible for numerous crimes against the Palestinian people. The study asserts that normalization with such an entity constitutes a betrayal of the Muslim Ummah and a transgression of core theological principles.

The researchers employed both inductive and analytical methodologies to examine relevant religious texts and historical contexts. The study is divided into three main sections: The first section defines and establishes the concept of Al-Wala' wa Al-Bara' within Islamic creed. The second section discusses the concept of normalization with the Zionist entity, highlighting its primary forms and manifestations. The third section offers a theological analysis of Islam's stance on normalization, drawing upon scriptural evidence to demonstrate the dangers of normalization from the perspective of Al-Wala' wa Al-Bara', as well as the resulting doctrinal and intellectual consequences for the Islamic Ummah.

Keywords: Creed, Al-Wala' wa Al-Bara', Normalization, Zionist Entity.

Journal of Islamic Sciences
Vol.4 | Issue 41
ISSN: 2225-9732
December 2025
مجلة العلوم الإسلامية
المجلد 4 | العدد 41
www.isscj.edu.iq

المقدمة

تمثل العقيدة الإسلامية منظومة شاملة جاء بها الإسلام لإنقاذ البشرية من براثن الجاهلية، بما تحمله من عصبيات قبلية ونزاعات دموية، كانت سببًا في تفكك المجتمعات واستمرار الحروب والصراعات لعقود طويلة. وقد أعادت هذه العقيدة توجيه الولاء والانتماء، من انتماءات ضيقة قائمة على العِرق أو النسب، إلى ولاء خالص لله تعالى، ولرسوله –صلى الله عليه وسلم-، وللمؤمنين، مما أسهم في توحيد الصفوف وبناء مجتمع متماسك قوي.

ويُعدّ الولاء والبراء من الأسس العقدية الأصيلة في الإسلام، بل هو من لوازم الإيمان التي لا تكتمل عقيدة المسلم إلا بها، إذ يمثلان التجسيد العملي والانتماء الفعلي لهذه العقيدة. ويتحقق الولاء والبراء بإعطاء الولاء لمن يستحقه – وهو الله ورسوله والمؤمنون –، والبراءة ممن يستحق البراءة – من الكفر وأهله –، كما دلت على ذلك النصوص الشرعية من الكتاب والسنة. لذا، فإن هذه العقيدة ليست مجرد تصور نظري، بل هي قضية إيمان وكفر، وفصل واضح في الولاءات والانتماءات.

غير أن هذا المعنى العقدي قد بدأ يتراجع في الوعي الجمعي للأمة الإسلامية، خصوصًا مع تصاعد النزعات المادية وانتشار الاستراتيجيات اللادينية في الحكم والإدارة والتوجيه، إلى جانب حالة الجهل العام بالدين، والانفصال عن مصادر التلقي الصحيحة، مما أدى إلى خلل في مفاهيم الولاء والبراء، وانعكس سلبًا على وحدة الأمة وتماسكها. وقد أفضى ذلك إلى حالة من الانقسام والتشرذم، لا يمكن تجاوزها إلا بالعودة إلى الأصل الذي وحّد الأمة في بداياتها، وهو دين الله الحق، والولاء له، ولأحكامه، ولأوليائه، والبراءة من الكفر والضلال وأهله.

أسس هذا التحول العقدي لحضارة إسلامية عظيمة اتسمت بالعدل والشمول، وأسهمت في نشر الأمن والاستقرار في مناطق واسعة من العالم. غير أن الأمة الإسلامية تعرضت لاحقًا لانتكاسات تاريخية، لعل أبرزها سقوط الخلافة الإسلامية، وما أعقبه من تمزق سياسي وجغرافي أضعف وحدة الأمة، وأدى إلى تصاعد النعرات القومية والإقليمية واللغوية، حتى باتت أجزاء من الأمة تعادي بعضها البعض، وتتحارب تحت شعارات لا تمت للإسلام بصلة، وإنما تعيد إنتاج العصبيات الجاهلية بثوب جديد.

وفي سياق الصراع العربي-الصهيوني، تبنت الدول الإسلامية موقفًا موحدًا تجاه الكيان الصهيوني المحتل، حيث أُجمع على اعتباره كيانًا غاصبًا لأرض فلسطين، وتم رفض أي شكل من أشكال

التطبيع معه، إلى حين تحقيق تسوية عادلة وشاملة تعيد الحقوق إلى أصحابها. وقد تُوّج هذا الموقف في مؤتمر الخرطوم عام (١٩٦٧م) المعروف بـ«قمة اللاءات الثلاث»، التي أكدت على مبادئ: «لا صلح، لا اعتراف، لا تفاوض». وبالرغم على هذا فإن العقود الأخيرة شهدت تحولات سياسية كبيرة، تمثلت في شروع بعض الدول الإسلامية والعربية في إقامة علاقات تطبيعية مع الكيان الصهيوني، شملت الجوانب الدبلوماسية والاقتصادية والثقافية. ولا شك أن هذه التحركات التطبيعية تُعد من أخطر التحديات التي تواجه القضية الفلسطينية، حيث يسعى الاحتلال من خلالها إلى فرض وجوده ككيان طبيعي في المنطقة، وتطبيع صورته أمام الشعوب، بل وتصفية القضية الفلسطينية سياسيًا وإعلاميًا، وتهميش جرائمه المستمرة ضد الشعب الفلسطيني ومقدساته. ويُعدّ ما يجري في قطاع غزة شاهدًا جليًّا على الطبيعة العدوانية واللاإنسانية للكيان الصهيوني المحتل، حيث ارتكب خلال عدوانه المستمر جرائم واسعة النطاق بحق المدنيين، أسفرت عن استشهاد الآلاف من الأطفال والنساء وكبار السن، في مشهدٍ أقل ما يقال عنه إنه الإبادة الجماعية وفق المعايير الدولية لحقوق الإنسان، مما يؤكد على خطورة هذا الكيان، ومخالفة ممارساته لأبسط القيم الإنسانية والمواثيق الدولية.

أهمية الموضوع:

تبرز أهمية هذا البحث من خلال معالجته لإحدى القضايا المصيرية في واقع الأمة الإسلامية، وهي قضية التطبيع مع الكيان الصهيوني، وذلك من زاوية عقدية ترتكز على مفهوم الولاء والبراء في العقيدة الإسلامية. ويكتسب الموضوع أهميته البالغة في ظل التحولات السياسية الراهنة، والانفتاح الرسمي المتسارع لبعض الأنظمة الإسلامية على الكيان المحتل، بما يشكّل تحولًا خطيرًا في المواقف المبدئية تجاه قضية فلسطين، ويهدد بتكريس شرعية الاحتلال، وقبوله كفاعل طبيعي ضمن النسيج السياسي والاجتماعي والاقتصادي للمنطقة.

كما تتجلى أهمية الدراسة في ارتباطها الوثيق بعقيدة التوحيد، إذ إن الولاء والبراء يُعدّان من مقتضيات الإيمان، ولا يمكن فهم الموقف الشرعي من التطبيع بمعزل عن هذا المبحث العقدي المحوري. وتكمن الخطورة في أن التهافت الرسمي نحو التطبيع لم يعد مجرد توجه سياسي، بل بات يُفرض على المجتمعات الإسلامية ثقافيًا وإعلاميًا واقتصاديًا، مما يجعل من الضروري الوقوف على الآثار العقدية والتربوية والفكرية لهذا الانحراف.

ومن هذا المنطلق، فإن هذه الدراسة تسعى إلى تسليط الضوء على الأبعاد العقدية للتطبيع، وبيان مدى تعارضه مع مبدأ الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين، والبراءة من أعداء الله، مما يجعل البحث

ذا أهمية خاصة لكل مسلم معني بحقيقة انتمائه الديني، وبدوره في الحفاظ على ثوابت الأمة، لا سيما في ظل التحديات الوجودية التي تواجهها قضية فلسطين اليوم.

أسباب الاختيار:

شهدت الساحة الإعلامية والفكرية في الآونة الأخيرة تصاعدًا ملحوظًا في الحديث عن مسألة التطبيع مع الكيان الصهيوني، سواء عبر وسائل الإعلام المختلفة أو من خلال مداخلات الإعلاميين والمثقفين والكتاب. ويعكس هذا الحضور المتزايد حالة من الاضطراب المفاهيمي وغياب التأصيل العلمي الرصين، مما يُبرز الحاجة الملحة إلى دراسة منهجية مؤصلة، تستند إلى ضوابط العقدية الإسلامية، وتُسهم في توضيح الموقف الإسلامي من هذه القضية الخطيرة. كما تقتضي الضرورة التحذير من مخاطر الانزلاق في مستنقع التطبيع، وما يحمله من آثار عقدية وثقافية وسياسية تهدد ثوابت الأمة وهويتها الإسلامية.

ارتباط هذه المسألة بجوهر العقيدة الإسلامية، وتحديدًا بمبحث الولاء والبراء، مما يجعل الإحاطة بها ضرورة علمية ودينية في آنٍ واحد. فالموقف من التطبيع مع الكيان الصهيوني لا يندرج ضمن الخيارات السياسية البحتة، بل يمس ثوابت الانتماء العقدي، ويُعبّر عن مدى التزام المسلم بأصول ولائه وبرائه.

منهج البحث:

عتمد هذا البحث على المنهجين الوصفي والاستقرائي؛ حيث استخدم المنهج الوصفي في تحليل الظاهرة موضوع الدراسة، والمتمثلة في قضية التطبيع مع الكيان الصهيوني، من خلال رصد أبعادها الفكرية والعقدية في ضوء الواقع المعاصر. كما تم توظيف المنهج الاستقرائي في تتبع النصوص الشرعية ذات الصلة، من القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية، بهدف بيان موقف العقيدة الإسلامية من هذه الظاهرة، وتسليط الضوء على مبحث الولاء والبراء بوصفه الأساس العقدي الذي يُبنى عليه هذا الموقف.

وقد سعى البحث من خلال هذا المنهج إلى إبراز خطورة التطبيع من منظور عقائدي، وبيان ما يترتب عليه من آثار تمس صميم الانتماء الإيماني والهوية الإسلامية.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يُقسَّم إلى مقدمة، وثلاثة مباحث رئيسة، وخاتمة، على النحو الآتي:

المقدمة: وتناولت أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، ومنهج البحث المعتمد، إضافة إلى الخطة البحث.

المبحث الأول: تضمَّن التعريف والتأصيل لمفهوم الولاء والبراء في العقيدة الإسلامية.

المبحث الثاني: تطرق إلى مفهوم التطبيع مع الكيان الصهيوني، موضحًا أبرز أشكاله ومظاهره.

المبحث الثالث: خُصص لعرض تحليل عقدي لموقف الإسلام من التطبيع مع الكيان الصهيوني، من خلال استقراء النصوص الشرعية، وبيان خطورة التطبيع من منظور عقيدة الولاء والبراء، وما يترتب عليه من آثار عقدية وفكرية على الأمة الإسلامية.

الخاتمة: اشتملت على أبرز النتائج التي توصل إليها البحث.

المبحث الأول: الولاء والبراء في العقيدة الإسلامية

المطلب الأول: تعريف الولاء والبراء لغة واصطلاحاً

أولاً: الولاء لغة: لفظ الولاء مأخوذة من مادة «ولي»، وجاء في معجم لسان العرب أن ابن الأعرابي (ت ٢٢١هـ) يعرّف «الموالاة» بأنها تدخل طرف ثالث للإصلاح بين متخاصمين، بحيث يكون لهذا الطرف ميل أو هوى لأحدهما، فيقوم بموالاته أو محاباته. ويُقال: «قد والاه»، أي ناصره أو أظهر له المودة. كما يُقال: «والى فلانٌ فلانًا» إذا أحبه[١].

أما مصطلح «المولى»، فهو لفظ مشترك يُستخدم للدلالة على معانٍ متعددة، منها: الرب، والمالك، والسيد، والمنعِم، والمعتِق، والناصر، والمحب، والتابع، والجار، وابن العم، والحليف، والنزيل، والصهر، والعبد، والمعتَق، والمنعم عليه[٢].

والموالاة: ضد المعاداة، والولي: ضد العدو، يقول الله -عزَّ وجل- حاكياً عن إبراهيم -عليه السلام-: {يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا} [مريم: ٤٥].

ويُلاحظ أن معاني «الولاء» تشترك في كونها تدور حول مفاهيم أساسية، أبرزها: النصرة، والمحبّة، والولاية، سواء أكانت ولاية نسبية، أو ولاء ناتجًا عن العتق أو النصرة أو التحالف. ويظهر من هذه المعاني أن للولاء جانبين: جانب اعتقادي وهو المحبة. وجانب عملي: وهو النصرة والمتابعة والتحالف.

ثانياً: البراء: وأما مادة «برأ» فقد وردت في معاجم اللغة العربية متضمنةً دلالات متعددة، اشتُقّت منها ألفاظ كـ«البراء» و«البراءة»، ومن أبرز المعاني التي وردت لهذه المادة ما يلي:

(١) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر – بيروت، ط (٣)، (١٤١٤)ه، (٦)/ (٤٩٢٢).

(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر – دمشق، (١٩٧٩)م، (٦)/ (١٤١).

- العداوة والبغضاء: وتُستعمل «البراء» بمعنى إظهار العداوة والقطيعة(١) كما في قوله تعالى: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ} (الممتحنة: ٤).

- البُعد والتنزّه: ويُقال «برئ مِن الشيء» إذا تباعد عنه ونزّه نفسه منه، دلالةً على الانفصال المعنوي أو المادي.

- التخلّص: ويُقال «برئ مِن فلان» إذا تخلّص منه وقطع صلته به(٢)، وهو استعمال يدل على قطع العلاقة أو البراءة من التبعة والمسؤولية.

- الإعذار والإنـذار(٣): كما في قوله تعالى:{بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ} (التوبة:١).

ويظهر من هذه المعاني أن للبراء جانبين عقدي وهو العداوة اللازمة للبغضاء، وجانب عملي وهو البعد والتنزه والتخلص.

ثالثاً: الولاء اصطلاحاً:

لقد تناول جمع من كبار العلماء تعريف الولاء في الاصطلاح بصيغ متعددة، تتفاوت في ألفاظها وتراكيبها، مع اتفاقها في جوهر المعنى والمضمون المراد.

وفيما يلي أبرز هذه التعريفات:

يقول الإمام الطحاوي (ت ٣٢١هـ): «وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ أَوْلِيَاءُ الرَّحْمَنِ، وَأَكْرَمُهُمْ عِنْدَ الله أَطْوَعُهُمْ وَأَتْبَعُهُمْ لِلْقُرْآنِ»(٤).

ويقول ابن أبي العز الحنفي (ت ٧٩٢هـ):« والولي خلاف العدو، وهو مشتق مِن الولاء وهو الدنو والتقرب، فولي الله هو مَن والى الله بموافقته محبوباته والتقرب إليه بمرضاته»(٥).

(١) الراغب الأصفهانى، المفردات في غريب القرآن، ت: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط (١)، (١٤١٢)هـ، (١)/ (١٢١).

(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (١)/ (١٣٦).

(٣) ابن منظور، لسان العرب، (١)/ (٢٤١).

(٤) الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الحنفي (ت (٣٢١)هـ) متن العقيدة الطحاوية، دار ابن حزم – بيروت، ط (١)، (١٩٩٥)م، (٢٢).

(٥) ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، ت: عبد المحسن التركي- شعيب أرناؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط (٥)، (١٩٩٢)مـ، (٢)/ (٥٠٩).

وبالتالي الولاية هي النصرة والمحبة والإكـرام والاحترام والكون مع المحبوبين ظاهراً. قال تعالى:{اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ} (سورة البقرة: ٢٥٧). وموالاة الكفار تعني التقرب إليهم وإظهار الودّ لهم، بالأقوال والأفعال والنوايا[١].

رابعاً البراء اصطلاحاً:

لا يخرج المعنى الاصطلاحي للبراء عن معناه في لغة العرب، فهو البعد والخلاص والعداوة بعد الإعـذار والإنـذار، والبراءة ضد الـولاء والحب وتكون بمعنى المعاداة والمباينة والبراءة تنافي الولاية[٢].

وعرّفه بعض المعاصرين بأنه: «بغض الطواغيت التي تعبد من دون الله تعالى من الأصنام المادية والمعنوية: كالأهواء والآراء، وبغض الكفر بجميع مللة وأتباعه الكافرين، ومعاداة ذلك كله»[٣].

يمكن تعريف «البراء» – في ضوء ما سبق من التعريفات – بأنه: التخلّي عن الطواغيت التي تُعبد من دون الله تعالى، بعد إقامة الحجة عليهم من خلال الإعـذار والإنـذار. وهذا المعنى الاصطلاحي قد دلّت عليه نصوص الكتاب والسنة، ومن ذلك قول الله تعالى:{بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ} (التوبة: ١)، وقوله عز وجل:{قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ} (الممتحنة: ٤). فهذه الآيات الكريمة تُبيّن أن البراء لا يقتصر على التخلّي القلبي، بل يشمل إعلان الموقف وبيانه، وقطع العلاقة العقدية مع المشركين، حتى يتحقق التوحيد الخالص لله عزّ وجل. ويتضح من خلال هذا أن هناك مناسبة واضحة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للبراء، إذ يشمل في اللغة: التخلّي، والتقصّي، والبعد، والعداوة، والبغضاء، والإعذار والإنذار، وهذه المعاني كلها تجتمع في المفهوم الشرعي للبراء، الذي يقوم على المفاصلة العقدية مع الشرك وأهله، والبراءة من مظاهر الطغيان والعبادة لغير الله تعالى.

(١) محمد نعيم ياسين، الإيمان- أركانه، حقيقته، نواقضه، دار عمر بن الخطاب - الاسكندرية، (١٤٥).

(٢) ابن القيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، ت: صبحي الصالح، دار العلم للملايين- بيروت، ط (٣)، (١٩٨٣)مـ، (١)/ (٢٤٢).

(٣) د. حاتم بن عارف الشريف، الولاء والبراء بين الغلو والجفاء في ضوء الكتاب والسنة، د.ط، (٥).

المطلب الثاني: تأصيل الولاء والبراء من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية

يُعدّ مبدأ الولاء والبراء ركنًا أصيلًا وأساسًا متينًا في عقيدة أهل السنة والجماعة، إذ يتحقَّق من خلاله ولاء العبد لله سبحانه وتعالى، ولرسوله صلى الله عليه وسلم، ولدينه، وللمؤمنين، كما يتحقَّق به البراء من أعداء الله ورسوله وأعداء دينه من الكافرين والمنافقين. ويتميَّز أهل السنة والجماعة بكونهم أكثر الناس التزامًا بهذا الأصل، حيث يجعلون ولاءهم وبراءهم خالصًا لله تعالى، فيوالون في الله ويتبرّؤون في الله، لا تحكمهم أهواء أو اعتبارات دنيوية، بل ميزانهم هو مدى التزام الطرف الآخر بمنهج الله سبحانه وتعالى والعقيدة الصحيحة. ومن هذا المنطلق، يقدِّمون روابط الإيمان على كل رابطة أخرى، فيُعلون من شأن المحبة في الله والمودَّة والرحمة بين المؤمنين فوق كل رابطة قبلية أو عصبية أو حتى رحمية.

لقد أوجب الله – تعالى – الولاء له وللمؤمنين في كتابه العزيز، وأكد على هذا الإيجاب في مواضع متعددة، كما حرّم موالاة المشركين، وشدّد النكير على من وقع في ذلك. حتى قال بعض العلماء: «ليس في كتاب الله – تعالى – حكم جاء فيه من الأدلة أكثر ولا أوضح من هذا الحكم، بعد وجوب التوحيد وتحريم ضده»[1].

وقد وردت مادة «ولي» ومشتقاتها في القرآن الكريم في تسعين موضعًا؛ منها أربعة وخمسون موضعًا تتحدث عن أولياء الله، وستة وثلاثون موضعًا عن أولياء الشيطان، كما وردت مادة «برئ» ومشتقاتها في عشرين موضعًا[2]، مما يدل على أهمية هذا الأصل العقدي.

ولا يخرج معنى الولاء والبراء في السياق القرآني عن دلالتهما اللغوية والاصطلاحية، وهو ما يغني عن تكرار التعريف هنا. وفيما يلي جملة من الآيات – على سبيل المثال لا الحصر – الدالة على عظيم منزلة هذا الأصل من أصول الدين، قوله تعالى:{إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ} (المائدة: ٥٥-٥٦). وقال تعالى:{وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} (التوبة: ٧١). وقال تعالى:{لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ} (آل عمران: ٢٨). وقال جلّ وعلا:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} (المائدة: ٥١).

(١) حمد بن علي بن عتيق، سبيل النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الإشراك، ت: اسماعيل بن سعد، دائرة رئاسة البحوث العلمية والإفتاء، ط (٧)، (٢٠٠٢)م، (٣١).

(٢) محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث- القاهرة، (٧٦٦) ومابعدها.

ومن الأدلة في السنة على الولاء حديث نعمان بن بشير –رضي الله عنه- قال قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى) [(١)]. وأما في البراء، فيقول –صلى الله عليه وسلم- في حديث جرير بن عبد الله البجلي، عندما جاء ليبايعه على الإسلام، فقال جرير لرسول الله –صلى الله عليه وسلم- يا رسول الله، اشترط عليَّ، فقال –صلى الله عليه وسلم- (أبايعك على أنْ تعبد الله ولا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتنصحَ المسلم، وتفارقَ المشرك) [(٢)] وفي رواية: (وتبرأ من الكافر) [(٣)].

وأما الإجماع فلا شك أن ظهور هذا الأمر في نصوص الكتاب والسنة، واقتران ذلك بقطعية ثبوته ودلالته، مع تضافر الأدلة وتواطئها عليه، يجعله من الأحكام المقطوعِ بها، ويُدرجه ضمن ما هو معلوم من الدين بالضرورة، والمجمع عليه من قِبَل المسلمين جميعاً، فقد قال ابن حزم: «وصح أن قول الله تعالى {ومن يتولهم منكم فإنه منهم}[المائدة: ٥١] إنما هو على ظاهره بأنه كافر من جملة الكفار فقط - وهذا حق لا يختلف فيه اثنان من المسلمين.» [(٤)]. ولهذا فإن عقيدة الولاء والبراء في الإسلام تُعدّ من الأسس المرتبطة بوجود الإسلام ذاته؛ فمتى وُجد مسلم موحّد في الأرض، ووُجد كافر أو مشرك، فإن مبدأ الولاء والبراء يظل قائمًا، لا من جانب المسلم فحسب، بل من جهة المخالف أيضًا.

وبما أن الإسلام هو دين الله الحق، وما عداه من الأديان باطل، ولأنه دين شامل يتناول أحكام الدنيا والآخرة، ويضبط معتقدات المسلم وأقواله وأفعاله، كما يُعدّ مرجعًا في تنظيم العلاقات الفردية والاجتماعية مع المسلمين وغير المسلمين، فإن لعقيدة الولاء والبراء فيه منزلة عظيمة. بل إنها تُعدّ متعلّقة بأصل الإيمان، إذ لا يتحقق الإيمان إلا بها، وزوالها يقتضي زوال الإيمان من أصله.

(١) رواه البخاري في صحيحه، باب رحمة الناس والبهائم، برقم: (٦٠١١)، (٨)/ (١٠).
(٢) رواه البخاري في صحيحه، برقم: (٥٨)، (١)/ (٢١).
(٣) أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ت: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط (١)، (٢٠٠١)م، برقم: (١٩١٥٣)، (٣١)/ (٤٩١).
(٤) ابن حزم الظاهري، المحلى بالآثار، دار الفكر – بيروت، بدون طبعة، (١٢)/ (٣٨).

المبحث الثاني: التطبيع مع الكيان الصهيوني: مفهومه وأبعاده

المطلب الأول: التعريف بالكيان الصهيوني والتطبيع

يقصد بالكيان الصهيوني ذلك الكيان الوظيفي الذي نشأ في سياق التحالف مع قوى الاستعمار التقليدي، بهدف ترسيخ الهيمنة على المنطقة العربية باعتبارها تمثل القلب الجغرافي والاستراتيجي للعالم الإسلامي. كما أن طبيعته التوسعية كانت حاضرة منذ نشأته الأولى، حيث تأسس على رؤية توسعية تتجاوز حدود الأرض التي أُقيم عليها(١). والصهيونية حركة سياسية عنصرية متطرفة، ترمي إلى إقامة دولة لليهود في فلسطين تحكم من خلالها العالم كله. واشتقت الصهيونية من اسم جبل صهيون في القدس حيث ابتنى داود قصره بعد انتقاله من الخليل إلى بيت المقدس في القرن الحادي عشر قبل الميلاد. وهذا الاسم يرمز إلى مملكة داود وإعادة تشييد هيكل سليمان من جديد بحيث تكون القدس عاصمة لها(٢).

وقد ارتبطت الحركة الصهيونية الحديثة بشخصية اليهودي النمساوي هرتزل الذي يعد الداعية الأول للفكر الصهيوني الحديث والمعاصر، الذي تقوم على آرائه الحركة الصهيونية في العالم، أسست هذه الحركة في (١٨٩٧م)، وتألفت من أفكار عديدة عند نشأتها في مكان بقعة الأرض لإقامة الدولة التي ستحتضن هذه الأمة. تركزت الجهود إبتداءً من العام (١٩١٧م)، على فلسطين لإنشاء كيان يحتضن الأمة اليهودية ومن العام (١٩٤٨م)، دأبت الصهيونية على إنشاء وتطوير دولة إسرائيل والدفاع عن هذا الوطن(٣).

وأما فيما يخص التطبيع فالملاحظ من الناحية اللغوية خلو معاجم اللغة العربية من كلمة تطبيع بمفهومها السياسي المعتمد الآن في أدبيات العلاقات الدولية، فهو مصطلح حديث جدا، ففما جاء في معظم إن لم نقل كل المناجد والقواميس العربية القديمة كلمات مثل: الطبع - الطبيعة - التطبع - الانطباع... الخ وكلها تأتي بمعنى «السجية التي جبل عليها الإنسان، فتطبع بكذا أي تخلق به(٤).

(١) نايف محمود الرجوب، التطبيع مع الاحتلال الإسرائيلي في منظور الشريعة الإسلامية، أطروحة الدكوراه، القدس (٢٠٢٢)م، (١٠٤).

(٢) أشرف خليفة عبد المنعم، أحكام العلاقات الدولية بين المسلمين وغيرهم التطبيع مع الكيان الصهيوني أنموذجاً- دراسة فقهية نوازلية تحليلية، (٢٠٢٢)م، (١٦).

(٣) عبد الوهاب المسيري، تاريخ الفكر الصهيوني، جذوره ومساره وأزمته، دار الشروق، (٢٠١٠)م، (١٧).

(٤) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (١)/ (١٣٦). لويس معروف، المنجد في اللغة والأدب والعلم، المطبعة الكاثولكية- بيروت، طبع (١٩٨٥)م، (٤٦٠).

أما التطبيع اصطلاحاً وكمفهوم سياسي، فيراه محمد عابد الجابري بأنه: «إعادة الأمور إلى حالتها الطبيعية»[1]، وهو بذلك يشير إلى أن المفهوم، في استخدامه الواسع، يعبّر عن عملية انتقال من وضع يتسم بالصراع والتصادم إلى وضع يتسم بالتعاون والسلام. ويشمل هذا التحول مختلف مجالات التفاعل، سواء السياسية أو الاقتصادية أو الثقافية، وعلى المستويين الرسمي وغير الرسمي. فالتطبيع، في هذا السياق، يعني إنهاء حالة اللاطبيعية التي تسود العلاقات بين أطراف النزاع، واستبدالها بحالة من التفاهم وحسن الجوار. وبالتالي التطبيع يعني الانتقال في العلاقات بين الطرفين (المتنازعين) من مرحلة العداء إلى مرحلة طبيعية وتنتفي فيها حالة التناقض أو الحرب وتقوم على أساس المصالح المتبادلة وحسن الجوار والتعاون في الميادين والمجالات كافة.

أما التطبيع في صيغته المعاصرة –في سياق التعامل مع إسرائيل- فيراد به قبول (إسرائيل) ككيان مستقل معترف به داخل المنطقة، ومنحها حق العيش في سلام وأمن، مع العمل على إزالة مشاعر العداء تجاهها من قبل الشعوب المجاورة. ويتطلب هذا، إحداث تحول نفسي وفكري عميق في الوعي الإسلامي، يتمثل في تهميش أو إضعاف المفاهيم العقدية التي تقوم على عقيدة الولاء والبراء، والتقليل من أثر روح الجهاد في النفوس، بما يمهّد لتهيئة بيئة نفسية واجتماعية تتقبل هذا الكيان وتتعامل معه بوصفه طرفًا طبيعيًا في الإقليم.

المطلب الثاني: أشكال التطبيع

من أبرز المخاطر الكامنة في فكرة التطبيع مع الكيان الصهيوني أنها تتجاوز الأبعاد التاريخية والجغرافية العميقة للصراع، وتسعى إلى إفراغه من مضمونه الحقيقي بتحويله إلى مجرد خلاف في وجهات النظر يمكن تسويته عبر الحوار أو التفاهم، متجاهلة بذلك واقع الاحتلال والاستيطان ومآسي الشعوب المتضررة.

ويترتب على هذا الطرح أن يصبح التعامل مع الكيان الصهيوني والتعاون معه أمرًا «طبيعيًا»، بل ويُفضي إلى الاعتراف بـ«إسرائيل» كدولة ذات سيادة، لها كيان طبيعي وحضور جغرافي وتاريخي في المنطقة. ويمثّل ذلك تحولًا خطيرًا، إذ يسهم في منحها شرعية عربية وإقليمية، ويقود - في بعض السياقات - إلى تصفية القضية الفلسطينية، وتجاهل عقود طويلة من النضال والتضحيات الفلسطينية والإسلامية.

(١) سعيد يقين داود، التطبيع بين المفهوم والممارسة، رسالة ماجستير قدمت إلى كلية الدراسات العليا في جامعة بيرزيت- فلسطين، (٢٠٠٢)م، (٧).

ومن أبرز التطبيع ما يأتي:

١- التطبيع السياسي والدبلوماسي:

وهو مجموعة من الإجراءات التي تتخذها الحكومات بشكل مباشر لإعادة العلاقات السياسية بين الدول إلى سابق عهدها قبل الانقطاع. ويتضمن هذا النوع من التطبيع مظاهر متعددة، مثل التنسيق السياسي أو الأمني، والزيارات الرسمية، واللقاءات السرية أو العلنية بين ممثلي الدول، وتبادل الرسائل، وعقد المفاوضات، وتبادل التمثيل الدبلوماسي. وقد يظهر أحيانًا في صور رمزية كالمصافحة أو اللقاءات الجانبية على هامش المؤتمرات الدولية. وغالبًا ما يُعلن هذا النوع من التطبيع عبر وسائل الإعلام، سواء من خلال التصريحات والبيانات الرسمية التي تصدرها الدول، أو من خلال إشارات إيجابية تتضمن مواقف مرنة تجاه الدولة الأخرى(١).

ويُعدّ المجال السياسي والدبلوماسي من أكثر الميادين التي يسعى الكيان الصهيوني إلى اختراقها، باعتبارها – من وجهة نظره – الأسهل والأقل تعقيدًا، لأنها تعتمد على الأنظمة والحكومات الرسمية التي يمكن التأثير عليها أو الضغط باتجاهها، دون الحاجة إلى المرور عبر الإرادة الشعبية الرافضة للتطبيع. كما أن أيّ اختراق في هذا المجال غالبًا ما يمهّد الطريق لبقية مجالات التطبيع، سواء كانت اقتصادية أو ثقافية أو أمنية، نظرًا لما يحمله التواصل السياسي من شرعية رمزية وسياسية لباقي الخطوات التطبيعية.

٢- التطبيع الاقتصادي

يتجلّى التطبيع الاقتصادي في فتح الأسواق العربية والإسلامية أمام المنتجات الإسرائيلية التي يُروَّج لها في بعض الأوساط المطبّعة باعتبارها «عالية الجودة»، فضلًا عن السعي إلى إقامة مراكز صناعية مشتركة بين الطرفين، استنادًا إلى المقولة العنصرية التي تروّج لفكرة «تكامل اليد العاملة العربية الرخيصة مع العقل أو العبقرية اليهودية». ويشمل هذا النوع من التطبيع أيضًا تزويد الكيان الصهيوني بالطاقة، كما هو الحال في بعض الاتفاقيات المبرمة مع مصر، إضافة إلى التعاون في مجالات البيئة، والزراعة، والتنقيب عن المعادن، والبحث العلمي(٢).

ويكمن خطر هذا الشكل من التطبيع في اتساع نطاقه ليشمل القطاع الخاص، مما يؤدي إلى ترسيخ العلاقات الاقتصادية على نحو يصعب فكه لاحقًا. وقد ذهب عدد من الباحثين إلى التأكيد على أن شبكات العلاقات الاقتصادية أصبحت اليوم من أبرز أدوات ترسيخ التطبيع في

(١) سعيد يقين داود، التطبيع بين المفهوم والممارسة، (١٢).

(٢) سعودي أحمد، التطبيع مع الكيان الصهيوني آلياته وطرق معالجته، مجلة المحترف لعلوم الرياضة، المجلد (٩٠)، العدد (٩٠)، السنة (٢٠٢٠)م، (٢٣٦).

العلاقات الدولية، ومصدرًا رئيسًا لاستمراريته وتطوره[١].

وفي هذا السياق، لم يتوانَ الكيان الصهيوني عن استخدام أدوات الضغط السياسي والاقتصادي على الدول التي تتباطأ في خطوات التطبيع، كما حصل في موقفه من المملكة العربية السعودية. فقد مارس أعضاء في الكونغرس الأمريكي ضغوطًا على إدارة الرئيس جورج بوش لرفض توقيع اتفاق يسمح للسعودية بالانضمام إلى منظمة التجارة العالمية، مشترطين إنهاء المقاطعة العربية لإسرائيل كأولوية قبل تقديم أي دعم لعضوية السعودية. وقد تم وضع هذا المطلب في مقدمة أربعة شروط رئيسة يجب تحقيقها قبل قبول المملكة العربية السعودية في المنظمة[٢].

٣- التطبيع الثقافي

يشمل التطبيع الثقافي جميع أشكال العلاقات التي تربط بين الدول في المجال الثقافي. ويكاد يجمع الباحثون على أن هذا النوع من التطبيع يمثل الحلقة الأخطر، نظرًا لارتباط الثقافة بالضمير الجمعي للشعوب، وبما تتركه من أثر عميق في تشكيل مواقف الناس ورؤيتهم للعلاقات ومواقفهم تجاه القضايا التاريخية المشتركة.

ينظر الكيان الصهيوني إلى التطبيع الثقافي على أنه دعامة رئيسية لبناء السلام في المنطقة فهو أكثر إقناعاً وأكثر استقراراً من أي ترتيبات أمنية عابرة مثل المناطق منزوعة السلاح ووضع جيش في الحدود وأدوات المراقبة...، والمطلوب ببساطة هو نزع العداء اليهودي من عقل المسلمين تجاه العدو الصهيوني[٣].

ويُعدّ الانفتاح الثقافي وسيلة فعالة تلجأ إليها الدول لنشر ثقافتها والتأثير في ثقافات الدول والشعوب الأخرى بشكل موجّه، بهدف استمالة المجتمعات المستهدفة ضمن مشروع التطبيع، ورأب الصدع السياسي بين الشعوب، خصوصًا تلك التي خاضت حروبًا فيما بينها. وتُعدّ الجمعيات الثقافية والمؤسسات الأهلية، في السياق المعاصر، من أبرز الأدوات التي تُعتمد في تنفيذ هذا النوع من التطبيع، غالبًا برضى أو دعم من الجهات الرسمية في الدول المعنية، في إطار نسج علاقات ثقافية مع دول أخرى[٤].

(١) محمد سعيد مضية، التطبيع التطبيع الثقافي مع العدو الصهيوني، مجلة الطريق، أبريل (١٩٩٣)م، (٤٦)- (٤٧).
(٢) سعودي أحمد، التطبيع مع الكيان الصهيوني آلياته وطرق معالجته، (٢٣٦).
(٣) غسان حمدان، التطبيع استراتيجية الاختراق الصهيوني، دار الأمان بيروت، ط (١)، (١٩٨٩)م، (١٠٣)- (١٠٤).
(٤) محمد سعيد مضية، التطبيع التطبيع الثقافي مع العدو الصهيوني، (٤٦)- (٤٧)

٤- التطبيع الديني

يُقصد بالتطبيع الديني توظيف الدين لأغراض سياسية، وبخاصة في سياق تبرير إقامة علاقات مع الكيان الصهيوني. وقد عرّف بعض الباحثين التطبيع الديني بعدة صيغ، من أبرزها:

استخدام الدين كذريعة للاعتراف بالكيان الصهيوني، وإضفاء الشرعية الدينية على إقامة علاقات سياسية أو اقتصادية أو ثقافية معه[١]. ومن الباحثين مَن قال هو: السعي إلى إزالة الحواجز النفسية والعقدية التي تفصل المسلمين عن أتباع الديانات الأخرى، وذلك من خلال خطاب ديني يدعو إلى التقارب غير المشروط، ويُسهم في إضعاف مفاهيم الولاء والبراء، أو تمييع الفروقات بين العقائد في سياق يخدم أجندات سياسية معينة. [٢] ويرى البعض بأن التطبيع الديني هو: توظيف الخطاب الديني من قبل بعض الحكومات لتبرير سياساتها التطبيعية، بحيث يُستخدم الدين كغطاء لتسويغ قراراتها أمام الرأي العام، وصرف النظر عن البعد العقائدي أو القيمي المرتبط بالقضية الفلسطينية[٣].

ويُعدّ كل استغلال للخطاب الديني أو تأويل النصوص الشرعية بهدف تبرير التطبيع مع الكيان الصهيوني شكلاً من أشكال التطبيع الديني.

ويُعد هذا النوع من التطبيع بالغ الخطورة، لارتباطه بالبُعد القيمي والرمزي للدين في الوجدان الجمعي، ولما له من قدرة على إحداث تحولات عميقة في المواقف والاتجاهات داخل المجتمعات الإسلامية.

نشأ التطبيع الديني – على غرار باقي أشكال التطبيع – مع توقيع اتفاقيات السلام بين الاحتلال الإسرائيلي وبعض الدول العربية، بداية من اتفاقية السلام المصرية-الإسرائيلية عام ١٩٧٩م. وتوالت بعد ذلك الاتفاقيات، وكان من أبرزها اتفاقية وادي عربة الموقعة بين الأردن والكيان الصهيوني، التي نصت في المادة التاسعة، البند الثالث على: «إقرار الطرفين بالعمل معًا على زيادة حوار الأديان بين الديانات التوحيدية الثلاث، بهدف تعزيز التفاهم الديني، والالتزام الأخلاقي، وحرية العبادة، والتسامح، والسلام.»

وقد جاء هذا التطبيع الديني تحت عناوين ومسميات متعددة، تهدف إلى تهيئة المجتمعات الإسلامية والعربية لتقبّل العلاقة مع الكيان الصهيوني من مدخل ديني، ومن أبرز تلك المسميات:«

(١) رفعت سيد أحمد، التطبيع والمطبعون- العلاقات المصرية والإسرائيلية (١٩٧٩)- (٢٠١١)م، موسوعة شاملة، (٢٠١٤)م، (٧)/ (١٦٧٩).

(٢) ناصر بن حمد الفهد، التبيين لمخاطر التطبيع على المسلمين، (١٤٢٣)هـ، (١٠٥).

(٣) رفعت سيد أحمد، التطبيع والمطبعون، (٧)/ (١٦٧٩).

حوار الأديان»، «حوار الحضارات»، «التقارب الديني»، بل وحتى «توحيد الأديان»[1].

وقد تطور هذا المسار ليبلغ ذروته في مشروع «الديانة الإبراهيمية»، الذي يُطرح كديانة جامعة لأتباع الديانات السماوية الثلاث، في محاولة لطمس الفوارق العقدية، وتقديم نموذج ديني مشترك يُشرعن واقع التطبيع، ويُفرغ العقيدة من مضمونها الصراعي تجاه الاحتلال والعدوان، تحت مظلة «السلام الديني العالمي».

وبناءً على ما سبق نقول لقد تتعدد أشكال التطبيع مع الكيان الصهيوني، وتشمل التطبيع السياسي والدبلوماسي عبر الاتفاقيات الرسمية وتبادل التمثيل، والاقتصادي من خلال فتح الأسواق والتعاون التجاري، والثقافي الذي يستهدف تغيير الوعي الجمعي عبر الفن والفكر، والأكاديمي من خلال الشراكات بين الجامعات والمؤتمرات، وأخيرًا الديني الذي يُستخدم لتبرير التطبيع شرعيًّا تحت مسميات مثل «حوار الأديان» و«الديانة الإبراهيمية». وتُعد هذه الأشكال مترابطة، إذ غالبًا ما يمهد السياسي لبقية الأنواع، ما يجعل التطبيع مشروعًا متكاملاً متعدد المسارات.

المبحث الثالث: تحليل عقدي للتطبيع مع الكيان الصهيوني في ضوء الولاء والبراء

المطلب الأول: التطبيع في ضوء العقيدة الإسلامية

لقد ذكرنا بأنه يُقصد بالتطبيع إقامة علاقات طبيعية مع الكيان الصهيوني في مختلف المجالات، كالتطبيع السياسي، والاقتصادي، والدبلوماسي، والثقافي، وغيرها من الصور. وهذه العلاقات في مجملها مرفوضة من منظور العقيدة الإسلامية، إذ إنها تمثل نوعاً من الإقرار بوجود العدو، والتسليم له بحق لا يملكه، فضلاً عن كونها مخالفة صريحة لمبدأ البراء من أعداء الله، وهو مبدأ أصيل في العقيدة الإسلامية.

كما أن التطبيع مع الظالم يُعد من صور الظلم، لأنه يحمل في طياته تأييدًا لظلمه، وهو ما نهت عنه النصوص الشرعية في غير موضع. يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ﴾ (الممتحنة:١)، ويقول سبحانه على لسان موسى -عليه السلام-: ﴿رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾ (القصص: ١٧).

وجاءت السنة النبوية مؤكدة لهذا المعنى، ففي الحديث: (مَن مشى مع ظالم ليعينه على ظلمه، وهو يعلم أنه ظالم، فقد خرج من الإسلام) [2]. وقال -صلى الله عليه وسلم-: (مَن أعان

(١) نايف محمود الرجوب، التطبيع مع الاحتلال الإسرائيلي في منظور الشريعة الإسلامية، (١٦٦).

(٢) الطبراني سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، ت: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي، ط (٢)، (١٩٨٣)م، (١)/ (٢٢٧).

على خصومة بظلم، لم يزل في سخط الله حتى ينزع) [1]. وفي حديث آخر: (إذا رأيت أمتي تهاب الظالم أن تقول له: أنت ظالم، فقد تُوُدِّع منهم)[2].

وهكذا، فإن النصوص القرآنية والأحاديث النبوية متكاثرة ومتوافقة، تؤكد جميعها على حرمة إقرار الظالم على ظلمه، وتنهى عن مناصرته أو مداهنته، وهو ما يُعدّ من المبادئ العقدية والخلقية الراسخة في الإسلام.

وبناءً على هذا المبدأ الأصيل، فإنه لا يبقى مجال للشك في تحريم التطبيع مع الكيان الصهيوني، ما دام يصرّ على ممارساته الظالمة تجاه الشعب الفلسطيني، ويتمادى في اغتصاب الأرض وانتهاك الحقوق، وممارسة سياسات التهجير والتجريف والتمييز العنصري.

فالكيان الصهيوني اليوم، لا تزال ترفض الاعتراف بالحد الأدنى من الحقوق الإنسانية لأكثر من ستة ملايين فلسطيني مشردين في الأرض، تحت ذريعة أنهم غادروا أرضهم قبل جيل أو جيلين، في الوقت الذي تتيح فيه «حق العودة» لليهود، حتى لمن يُحتمل أن أجدادهم قد مرّوا بفلسطين قبل عشرات الأجيال.

وانطلاقًا من هذه الحقائق المتضافرة، الشرعية منها والواقعية، يتضح أن التطبيع مع هذا الكيان يُعد محرمًا شرعًا، ولا تجوز الموالاة فيه بأي صورة من الصور، ما دام الاحتلال والعدوان قائمين.

المطلب الثاني: بيان أوجه التعارض بين التطبيع وعقيدة الولاء والبراء.

تُعَدّ اتفاقيات السلام والتطبيع مع الكيان الصهيوني من المسائل التي تُقدَّم غالبًا على أنها ذات مصلحة مشروعة، يُراد بها إقامة علاقات مستقرة ودائمة. إلا أن هذه الاتفاقيات تنطوي على إقرار ضمني بوجود الكيان وتمكينه من التغلغل في بلاد الإسلام، ومن ثم فهي تتعارض مع الأسس العقدية للإسلام، وتفتح الباب أمام مظاهر الولاء لليهود ورفع المانع الشرعي في التعامل معهم، وهذا مما يُنهى عنه في الشريعة الغراء. وقد دل على هذا المنع جملة من الآيات القرآنية، منها: [3]

قوله تعالى:{فقاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يُحرِّمون ما حرَّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يُعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون} (التوبة: ٢٩).

(١) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، ت: شعيب أرناؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية بيروت، ط (١)، (٢٠٠٩)م، (٣)/ (٤١٥).

(٢) أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، (١١)/ (٣٩٤).

(٣) ناصر بن حمد الفهد، التبيين لمخاطر التطبيع على المسلمين، (٤٩).

وقوله سبحانه:{ وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلُها واجعل لنا من لدنك وليًّا واجعل لنا من لدنك نصيرًا} (النساء: ٧٥). وتكرار قوله تعالى:{الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر}، يدل على وصف واضح لطبيعة العدو.

ففي هذه الآيات دلالة واضحة على الموقف الشرعي من الكفار، لا سيما من أهل الكتاب كاليهود، ومنع إقرارهم على ظلمهم وعدوانهم.

وفي الآية الثانية، يتبين أن الله تعالى قد فرض القتال على عباده المؤمنين دفاعًا عن المستضعفين من الرجال والنساء والولدان، وهذا يدل على أن ترك القتال في هذا الموضع يُعدّ تخلٍّ عن فريضة عظيمة، لأنه جهاد في سبيل الله يُستعان به على كفّ ظلم العدو، ويُعد من أعظم الوسائل لدفع الأذى والعدوان [١].

وحتى إن نظرنا إلى مفهوم التطبيع من زاوية السلام، فإن ما يُروّج له من دعوات للسلام مع العدو لا تخرج في حقيقتها عن كونها وسيلة لتعطيل الجهاد، وتفريغ الأمة من روح المقاومة، بحجة السلم الإقليمي أو محاربة ما يُسمّى بالإرهاب، في حين أن هذا السلام المزعوم ينتهي في واقع الأمر بإضعاف المسلمين وتمكين الأعداء.

وبناءً على ذلك، فإن التطبيع يُعدّ تعطيلًا لنصوص الشرع الداعية إلى قتال الكفار ونصرة المستضعفين، وصدًّا عن سبيل الله. وقد قال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ} (الممتحنة: ١) وفيها تحذير للمؤمنين من اتخاذ الكفار أولياء، لأن ذلك يُعد خيانة لله ولرسوله، ومماألأة للأعداء الذين يكفرون بالحق ويعادون أهل الإيمان.

وقد فسّر بعض العلماء هذا الخطاب بقوله:« أي: يا من آمنتم بالله وصدقتم برسوله، لا تتخذوا أعدائي وأعداءكم أولياء تُبدون لهم المحبة والمودة، وهم في الحقيقة لا يرعون فيكم إلًّا ولا ذمّة، بل يبغضونكم بسبب إيمانكم، ويريدون إخراجكم من دينكم»[٢].

إن التطبيع، وما يترتب عليه من استقبال اليهود والترحيب بهم في ديار المسلمين، يُعدّ نوعًا من الركون إليهم، ويقع ضمن دائرة الميل إلى الظالمين، وذلك يشمل التطبيع السياسي، والثقافي، والاقتصادي، والأمني، وكل ما يؤدي إلى التبعية أو التنازل عن الحقوق المشروعة للمسلمين. وقد

(١) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط (١)، (٢٠٠٩)م، (١٨٧).

(٢) وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر- دمشق، ط (١٠)، (٢٠٠٩)م، (٤٩٧).

حذر الله تعالى من هذا الركون فقال سبحانه:{وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ} (هود: ١١٣)، وقد فسّر العلماء الركون بأنه الرضا بهم، أو القبول بهم وبأفعالهم، أو ممالأتهم ومداهنتهم. وكل هذه المعاني تقع ضمن مستلزمات التطبيع، وتشكل خطرًا على عقيدة المسلمين وهويتهم [١].

إنَّ التطبيع مع الكيان الصهيوني يتضمّن إقرارًا ضمنيًّا بوجوده وبسط سلطته، وتمكينه من البقاء على أرض المسلمين، رغم عدوانه المستمر. وهذا يُعدّ خيانة لله تعالى ولرسوله وللمؤمنين، وهو ما نهى عنه القرآن الكريم بوضوح، حيث قال الله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} (الأنفال: ٢٧). فالخيانة تعني في مفهوم الإسلام والمسلمين، موالاة العدو توليه، وخيانة كل الفضائل والمبادئ التي جاء بها الإسلام[٢]. وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ (١١٨) هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (آل عمران: ١١٨-١١٩). تُبرز هذه الآيات الكريمة تحذيرًا إلهيًّا واضحًا للمؤمنين من اتخاذ غير المسلمين –ولاسيما اليهود- بطانة لهم، أي مستشارين ومقرّبين يطلعون على شؤونهم وأسرارهم. وتُظهر النصوص مدى ما يُكنّه بعض غير المسلمين من بغض وحقد دفين تجاه المسلمين، يتجلى في أقوالهم وأفعالهم، بل إن ما تُخفيه صدورهم أعظم مما يُظهرونه من عداء. وتُبين هذه الآيات أن هؤلاء لا يدّخرون وسعًا في الإضرار بالمسلمين، بل يسعون لذلك بكل وسيلة ممكنة، مستغلين في ذلك ما يُمنح لهم من ثقة وقرب.

ومن جانب آخر فإن من المبادئ الأساسية التي قررها الإسلام في العلاقات بين المسلمين، مبدأ التناصر والتعاون في مواجهة التحديات التي تمس دينهم ووجودهم. فقد بين الله -عز وجل- أن من مقتضيات الإيمان الحق أن يكون المسلمون أنصارًا بعضهم لبعض، فيجاهدون بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، ويتكافلون في دفع الظلم والعدوان عن إخوانهم، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ

(١) محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط (١)، (٢٠٠٠)م، (١٥)/ (٥٠٠).

(٢) محماس بن عبد الله بن محمد الجلعود، الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية، دار اليقين للنشر والتوزيع، ط (١)، (١٩٨٧)م، (١)/ (٢٣٢).

بَعْضٍ، وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا، وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (الأنفال: ٧٢).

ويعلق الطبري على هذه الآية بقوله: «وكان حقا على المؤمنين الذين آووا ونصروا إذا استنصروهم في الدين أن ينصروهم إن قاتلوا، إلا أن يستنصروا على قوم بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم ميثاق، فلا نصر لهم عليهم، إلا على العدوّ الذين لا ميثاق لهم»[1]. وهذا ما قرّره النبي –صلى الله عليه وسلم- عمليًا، حين آخى بين المهاجرين والأنصار، وجعلهم أمة واحدة، متكافلة متعاونة، لا يُخذل فيها مؤمن، ولا يُترك فيها مظلوم دون ناصر.

وقد أوجب الله -عزّ وجل- على المسلمين نُصرة بعضهم البعض، بحيث لا يُترك المسلم لأعدائه دون عونٍ أو دعم. وهذا مبدأ دائم لا يتغير بتغير الأزمان أو الأماكن. فما يقع اليوم من ظلم وعدوان على المسلمين في فلسطين وغيرها، يوجب على الأمة الإسلامية أنْ تُبدي مواقف نصرة وتضامن تتناسب مع قدراتها، وتُبطل الحجة عن كل مَن يتذرع بالعجز أو يبرر التقاعس.

(١) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ٧٩/١٤.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيد الأولين والآخرين سيّدنا محمّد –صلى الله عليه وسلم- وآله وصحبه أجمعين، إلى يوم الدين، وبعد:

فيما يلي أبرز النتائج التي توصّل إليها بحثنا عن البُعد العقدي في مواقف التطبيع مع الكيان الصهيوني دراسة في ضوء عقيدة الولاء والبراء:

١- يُعدّ الولاء والبراء من أصول العقيدة وأركان الإيمان، ولا يتحقق الإيمان الصحيح إلا بالولاء لله ورسوله والمؤمنين، والبراءة من الكفر وأهله.

٢- الكيان الصهيوني كيان استعماري عنصري غاصب، نشأ على أساس طرد شعب فلسطين، ومارس ولا يزال يمارس أبشع صور العدوان والاحتلال والتمييز ضد هذا الشعب المظلوم.

٣- التطبيع لا يقتصر على المجال السياسي، بل يشمل التطبيع الاقتصادي، والثقافي، والديني، وكلها تشكل اختراقًا للأمة وتطبيعًا للعدو في وجدانها.

٤- التطبيع يُعدّ إخلالًا بمبدأ البراء من أعداء الله، وهو نوع من الركون إلى الظالمين، وقد جاءت نصوص الوحي تنهى عن ذلك تحريمًا واضحًا قاطعًا.

٥- التطبيع يُنتج آثارًا خطيرة على مستوى العقيدة والتربية والوعي الجمعي، ويسهم في تمييع المفاهيم الدينية، وخاصة في جيل الناشئة.

٦- جاءت آيات كثيرة وأحاديث نبوية شريفة تنهى عن موالاة الكافرين، وتؤكد على ضرورة مناصرة المستضعفين وعدم التساهل مع أعداء الإسلام.

٧- لا بدّ من جهود علمية وتربوية وإعلامية ممنهجة لتحصين الأمة من مشاريع التطبيع، وربطها بمفاهيم العقيدة الصحيحة وثوابتها.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر – بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر – دمشق، ١٩٧٩م.
- الراغب الأصفهانى، المفردات في غريب القرآن، ت: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.
- البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.
- الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الحنفي (ت ٣٢١هـ) متن العقيدة الطحاوية، دار ابن حزم – بيروت، ط١، ١٩٩٥م.
- ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، ت: عبد المحسن التركي- شعيب أرناؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط٥، ١٩٩٢مـ.
- محمد نعيم ياسين، الإيمان- أركانه، حقيقته، نواقضه، دار عمر بن الخطاب – الاسكندرية.
- محماس بن عبد الله بن محمد الجلعود، الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية، دار اليقين للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٧م.
- ابن القيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، ت: صبحي الصالح، دار العلم للملايين- بيروت، ط٣، ١٩٨٣مـ.
- د. حاتم بن عارف الشريف، الولاء والبراء بين الغلو والجفاء في ضوء الكتاب والسنة، د.ط.
- حمد بن علي بن عتيق، سبيل النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الإشراك، ت: اسماعيل بن سعد، دائرة رئاسة البحوث العلمية والإفتاء، ط٧، ٢٠٠٢م.
- محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث- القاهرة.
- أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ت: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

- ابن حزم الظاهري، المحلى بالآثار، دار الفكر – بيروت، بدون طبعة.
- نايف محمود الرجوب، التطبيع مع الاحتلال الإسرائيلي في منظور الشريعة الإسلامية، أطروحة الدكوراه، القدس ٢٠٢٢م.
- أشرف خليفة عبد المنعم، أحكام العلاقات الدولية بين المسلمين وغيرهم التطبيع مع الكيان الصهيوني أنموذجاً- دراسة فقهية نوازلية تحليلية، ٢٠٢٢م.
- عبد الوهاب المسيري، تاريخ الفكر الصهيوني، جذوره ومساره وأزمته، دار الشروق، ٢٠١٠م.
- لويس معروف، المنجد في اللغة والأدب والعلم، المطبعة الكاثولكية- بيروت، طبع ١٩٨٥م.
- سعيد يقين داود، التطبيع بين المفهوم والممارسة، رسالة ماجستير قدمت إلى كلية الدراسات العليا في جامعة بيرزيت- فلسطين، ٢٠٠٢م.
- سعودي أحمد، التطبيع مع الكيان الصهيوني آلياته وطرق معالجته، مجلة المحترف لعلوم الرياضة، المجلد ٩٠، العدد ٩٠، السنة ٢٠٢٠م.
- محمد سعيد مضية، التطبيع التطبيع الثقافي مع العدو الصهيوني، مجلة الطريق، أبريل ١٩٩٣م.
- غسان حمدان، التطبيع استراتيجية الاختراق الصهيوني، دار الأمان بيروت، ط١، ١٩٨٩م.
- رفعت سيد أحمد، التطبيع والمطبعون- العلاقات المصرية والإسرائيلية ١٩٧٩- ٢٠١١م، موسوعة شاملة، ٢٠١٤م.
- الطبراني سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، ت: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٩٨٣م.
- ابن ماجه، سنن ابن ماجه، ت: شعيب أرناؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية بيروت، ط١، ٢٠٠٩م.
- عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١، ٢٠٠٩م.
- وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر- دمشق، ط١٠، ٢٠٠٩م.
- محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.